حاصل ما يقوله هؤلاء: إن السلف كانوا على العقيدة الحق، واستمر الأمر فترة، ثم حصل الانقطاع ، وغلب المبتدعة من سائر الفرق واستمر الأمر حتى هذا الزمان، خلا فترات من الأزمنة برز فيها بعض الدعاة إلى المذهب الذي يعتقدون أنه الحق، ومن أهم هؤلاء الدعاة عند الوهابية ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية اللذان ظهرا في القرن الثامن الهجري.

فلو سألت الوهابية والسلفية المعاصرين، عن سلسلة متصلة زمانيا من العلماء المنتشرين في الأمكنة المختلفة المتغلغلين بين العامة لتعليمهم أمور دينهم، كما ينبغي بأهل الحق الذين أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم بأنهم لا يزالون قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله.

أقول: لو سألتهم أن يأتوك بنحو هذه السلسلة المتراصة من العلماء الهادين إلى الحق، لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولم يقدروا إلا على تسمية أفراد بعضهم في القرن الثامن وبعضهم في التاسع، وبعضهم في الرابع الهجري، وهكذا، ولن يستطيعوا أيضا أن يبرهنوا على اتصال وجود هؤلاء في المكان والزمان الذي انتشرت فيهما الأمة الإسلامية التي عرفناها في أول حديثنا.

إذن حاصل ما سيأتيك به هؤلاء ما هو إلا مجرد أوصال متقطعة في المكان والزمان، وهذا في نظري من أكبر الأدلة على بطلان ما يدعونه من أفكار وعقائد وأحكام خالفوا فيها أهل السنة والجماعة.

ولذلك فقد حاولوا بشتى السبل أن يبرهنوا على انتساب بعض علماء الأشاعرة إليهم، بحجة أنهم محدثون، أو مفسرون، كالإمام ابن حجر العسقلاني، والإمام النووي، وغيرهما، كالبيهقي وابن عساكر، فاكتشفوا بعد أزمان أن هؤلاء مصرحون وموافقون لعقيدة الأشاعرة، فعادوا وتبرأوا منهم، وربما اكتفى بعض الوهابية بالقول بأن هؤلاء العلماء قد وافقوا الأشاعرة في أمور معينة، وليس في أصول العقائد، وهذه مجرد مزاعم لن يجدوا عليها دليلا. وعللوا موافقة هؤلاء للأشاعرة بأن الأشاعرة كانوا أكثر فتأثر هؤلاء بهم بحكم الصحبة والجوار لا بحكم اعتقادهم بما يقول الأشاعرة، ولم يعلموا أن هذه الطريقة في التأثر والانفعال بالمذاهب، التي ينسبونها إليهم، قادحة في هؤلاء العلماء أصلا لو ثبتت.

إذن تبين لنا أن من حقيقة المذهب الوهابي، اعتقاد الانفصال بين الناس في هذا الزمان وما قبلهم من الأزمنة، بعقيدة السلف، ولذلك فهم لا يعتبرون كثيرا من العلماء ولا يعتدون بآرائهم ولا بمقولاتهم، إلا إن كانوا من أولئك النفر الذين اشرنا إليهم.

تأثير ذلك على العلمانيين

وهذا الفهم المتغلغل في نفوس الوهابية والسلفية المعاصرة، له أكبر الأثر في انفصال الأمة حاضرها عن ماضيها، ولا يخفى ما لهذا الانفصال المعنوي من آثار تضعف الأمة فكريا وعقائديا، وتجعلهم عرضة للهجوم عليهم من المخالفين لهم في أصول الدين، ولا يخفى أن

هذا الانفصال لو صح لكان أكبر أمر يعول عليه العلمانيون في القدح بأصل الدين.
وهذا هو ما حصل بالفعل، فقد ظهرت طائفة من العلمانيين القادحين بأصل الدين، ولا يعترفون بأصول أهل السنة والجماعة، وقد قامت معظم اعتراضاتهم على هذه الفكرة، وهي عدم التسليم بالأفهام والأحكام التي صدرت من علماء الأمة على مرِّ العصور، سواء أكانت مذاهب عقائدية أو فقهية أو غيرها، وادعوا أن هذه الآراء كلها مجرد آراء إنسانية لا يلزمهم الأخذ بها، أن عليهم الرجوع إلى النصوص الأصلية في الدين، فيعيدوا قراءتها، وإنتاجها، بحسب ما يرون، وبحسب ما يناسبهم في هذا الزمان.
وبهذا فإنا نرى أن العلمانيين، قد أخذوا بالأصل الذي اعتمده الوهابية، وزادوا عليهم، بأن تجاوزوا السلف أيضا، ورجعوا إلى الكتاب والسنة مباشرة على زعمهم. فأنتجوا ما يسمى في هذا الزمان بالقراءات المعاصرة للتراث، أو للقرآن، أو للتاريخ، وهو عبارة عن تحريفات تذكرنا كثيرا بتحريفات القرامطة والباطنية الأوائل.

أقوال من دعاة السلفية المعاصرة

سوف نستشهد ببعض كلمات من أركان دعاة السلفية المعاصرة ، والممهدين لها لنؤكد بها هذا الذي قلناه.
وسوف نأتي بنصوص على سبيل الاستشهاد، وليس مقصودنا ههنا التأريخ لهذه الدعوة، بل سيكون المقصود من الاستشهاد بالنصوص المذكورة مجرد تأكيد وشواهد على ما ذكرناه، وسوف نحاول تحليل بعضها، بما يلائم.

أولا: محمد بن عبد الوهاب

1- المتكلمون كفار

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب [1] :

فتأملوا رحمكم الله تعالى كيف يصرح بتكفير المتكلمين، ثم ينسب ذلك إلى البيهقي ومن ذكره، وهذه النسبة باطلة كما لا يخفى، فالبيهقي متكلم على طريقة الأشاعرة.
ثم بالغ فيما يقول، وادعى أن الإجماع قد وقع على التكفير؟!
فبهذا يتبين لك الانقطاع الحاصل في الأمة عن علمائها الذي ذكرنا أنه لازم من لوازم مذهب الوهابية.

-2 الشيخ محمد بن عبد الوهاب يطلق على الذين يتوسلون أنهم مشركون
قال في رسالته من مجموعة الدرر السنية [2] :

ثم قال:

ثم قال في ص332

-3 الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول إن الاعتقاد الذي عند المتأخرين هو عين الشرك
قال في رسالته السابقة[3]

-4 تكفير فخر الدين الرازي، وتكفير العين وعدم الاقتصار على تكفير الجنس
ذكر محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الحادية والعشرون المودعة في تاريخ نجد ص843 تكفير الإمام فخر الدين الرازي ونقل ذلك عن ابن تيمية وأقره عليه، فقال في ضمن كلام نقله عن ابن تيمية:"وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبادة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين"اهـ
فانظر كلامه فيفعلق محمد بن عبد الوهاب على كلام ابن تيمية هذا قائلا في ص943:"
وبين ما نحن فيه في كفر المعين، وتأمل تكفيره رؤوسهم: فلانا التفرقة بين المقالات الخفية وردتهم ردة صريحة، وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازي وفلانا بأعيانهم، كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة، هل يناسب هذا لما فهمتَ من كلامه أن عن الإسلام مع لا يكَفّرُ المعينَ **"اهـ.**
وهذا الكلام فيه مغالطات لا تخفى على مطلع
منها حكاية الإجماع على كفر الفخر الرازي.
ومنها ادعاؤهما –ابن تيمية وابن عبد الوهاب- أن الإمام فخر الدين الرازي قد ألف في عبادة الكواكب.
ومنها تصريحه بأن ابن تيمية وكذلك هو يكفرون المعيّن خلافا لما يزعمه بعض أتباعهما اليوم أنهما لا يكفران إلا الجنس لا المعين.

ونحن كما قدمنا لا نريد أن نستقرئ كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا غيره، ولكن غاية **ما نريده إنما هو الاستشهاد ببعض النصوص على الغلو الحاصل في هذا الاتجاه.**
وأدعو الله تعال أن يكون المقصود قد حصل مما أوردناه.

-5 موقف الوهابية من التجسيم والتشبيه

موقف الوهابية من التجسيم ونفي تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، فقد صار مشهورا معلوما، فهم يثبتون لله تعالى الحد والجهة، وقيام الحوادث بالله تعالى، والجلوس على العرش بمماسة والحركة النقلة ....الخ، ولا شك أن هذا الاعتقاد مخالف بجملته لاعتقاد أهل السنة والجماعة، وقد تبع الوهابية في هذا الاعتقاد إمامهم الأول ابن تيمية، فعنه أخذوا كل ذلك، وفهموا كلامه من شروحات تلميذه ابن قيم الجوزية. فليرجع إلى كتاب نقض أساس التقديس، لابن تيمية ومنهاج السنة، وغيرها من الكتب، وقد كتبتُ عدة كتب في هذا المقام أثبتُ فيها أن ابن تيمية قائل بالتجسيم ولوازمه، وأنه مخالف للأشاعرة جملة وتفصيلا، وأن له مذهبا كاملا يدعو إليه، وليست أقواله هذه مجرد شطحات أو زلات قلم كما يحلو للبعض أن يتوهم[4]

ثانيا: السيد محمد رشيد رضا توفي سنة 5431هـ
في نظري فإن السيد محمد رشيد رضا، من المؤسسين لمذهب السلفية بمعناه الأعم الذي بينا أصوله ومبانيه، وهو قد مهد في كتبه لفكرة الانقطاع عن آثار المتأخرين من العلماء، زاعما أنه مجتهد يحق له الرجوع إلى المصادر الأصلية، والنظر فيها ابتداء كما فعل المجتهدون الكبار، وأنه لا يلزمه إلا اتباع ما يوصله إليه بحثه ونظره. وهو في هذا متأثر بلا شك بشيخه الشيخ محمد عبده، وبالسيد جمال الدين الأفغاني.
وقد صرح رشيد رضا بالعديد من المواقف والآراء التي تثبت هذا الموقف عليه، ونزاعاته مع مشايخ الأزهر وإدارته، معلومة غير مجهولة، ومنها معاركه الشديدة مع الشيخ يوسف الدجوي وصاحبه الشيخ الكوثري ومن يناصرهما.
وها نحن نذكر بعض الدلائل والإشارات الدالة على ذلك.
أولا : تصريحه بموافقة الدعوة الوهابية
وكان مما قاله في كتاب له في غاية الأهمية أسماه المنار والأزهر[5] ، يبين ما نشر فيها من مقالات وأفكار

ومن الواضح أن الأسلوب الذي يتحدث به السيد رشيد رضا هو نفسه الأسلوب الذي يتحدث به محمد بن عبد الوهاب، وترى في كلامه هذا العبارات نفسها التي تجدها في كلام الآخر: نحو الخرافيين، عبدة القبور والأضرحة، الشرك الصريح، العقائد الوثنية، البدع الخرافية.....الخ.
وجعل السيد محمد رشيد رضا اهتمامه بهذا الاتجاه من شواهد اهتمام المنار(وهي مجلته التي كان ينشرها) بإصلاح الأزهر، وقد كان له ولشيخه الشيخ محمد عبده اهتمام واضح بما كانا يسميانه إصلاحا للأزهر.

ثانيا: اتهامه الأزهر وبعض مشايخه بأنهم قبوريون يسعون لنشر ذلك بين الناس.
فقال في كتابه المنار والأزهر ص22:"بيد أنني أنكرت على مجلة نور الإسلام الأزهرية الرسمية ما تنشره له –أي الشيخ *سيما بدع القبور ومنكراتها والطعن ولا* يوسف الدجوي- من المقالات والفتاوى في تأييد البدع الفاشية في عامة الأمة، *على السلفية عامة والوهابية خاصة* في هذا العصر الذي أظهر في العالم الإسلامي كله في الشرق والغرب والوسط كمصر حرسها الله العطف على الدولة السعودية والدفاع عنها، والانتقاد على الدولة المصرية لعدم اعترافها بها.."اهـ
ومما يدل على ذلك قوله في الكتاب نفسه ص652

ثالثا: ولاؤه لآل سعود:
يعلن السيد رشيد رضا موافقته واتباعه لآل سعود في دعوتهم ويشبههم ببني إسرائيل في أيام سيدنا موسى عليه السلام، ويحضهم على الصبر ويبشرهم بالنصر من عند الله تعالى على أعدائهم القبوريين والمشركين
قال في المنار والأزهر [6]

رابعا: موقفه من دعوة الوهابية ورفض المذاهب المستقرة كالأشاعرة والماتريدية:
من المعلوم أن الشيخ محمد عبده كان هو قدوة السيد محمد رشد رضا، وقد كان هو أول من بادر بالابتعاد عن مذهب الأشاعرة والماتريدية، وادعى أنه مجتهد له أن يختار ما يشاء ولو كان الرأي الذي يرجحه فلسفيا أو اعتزاليا أو غير ذلك.
وهذا الاتجاه كان متأصلا فيهما. فكان مما قاله رشيد رضا[7] :"وأما صاحب المنار فيعلم السادة الحاضرون وكل من يقرأ المنار، أنه لا يقلد في عقيدته أحدا من الأئمة، فكيف يعقل أن يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، على فرض أن له مذهبا خاصا غير مذهب الإمام أحمد وسلف الأمة؟ فمن لا يقلد الإمام الأشعري وقد نشأ على مذهب الأشعرية، فأجدر به أن لا يقلد الشيخ محمد بن عبدالوهاب."اهـ
ولا يخفى أن دعواه عدم تقليد محمد بن عبد الوهاب، لا تنافي موافقته له واتباعه لأفكاره وتأييده لدعوته كما سبق بيانه، غاية الأمر أنه يدعي أنه مجتهد في هذا، والاجتهاد قد يسلم وقد لا يسلم.
وقد كان لهذا الكلام الصادر من في رشيد رضا أصول راسخة عند شيخه الشيخ محمد عبده الذي قال للشيخ عليش لما راجعه في تدريسه للعقائد النسفية، وأنه يخالف الأشاعرة ويرجح مذهب المعتزلةوذلك كما رواه عنه رشيد رضا في كتابه الشهير تاريخ الأستاذ الإمام(431/1):"قال الشيخ عليش: بلغني انك تدرس شرح العقائد النسفية.قال : نعم. قال الشيخ عليش وبلغني أنك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الأشعرية. قال: إذا كنت أترك تقليد الأشعري، فلماذا أقلد المعتزلة؟ إذا أترك تقليد الجميع وآخذ بالدليل. قال الشيخ عليش: أخبرني الثقة بذلك. قال: هلم الثقة الذي يشهد بذلك فليميز أمامنا هنا بين المذهبين وليخبرنا أيهما رجحت."اهـ
ولا يخفى أن أصل دعوى اتباع السلف مبني على ترك اجتهادات العلماء السابقين، وعدم الاعتداد بها، ودعوى أن الواحد، وإن لم يكن متأهلا لذلك، فهو قادر على الاجتهاد، والرجوع للاستنباط من المصادر الرئيسة.
وهذا الاتجاه إن انتشر، فإنه يستلزم الاستخفاف بمنصب الاجتهاد ويشجع كل ضعيف الفهم طامح إلى الرئاسة دعوى الاجتهاد، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من بلبلة واختلاط.

كاتب المقالة : سعيد فوده
تاريخ النشر : 02/06/2013
من موقع : د / عاطف الكومى الأسيوطى
رابط الموقع : http://al-koomy.com